تأملات في معجزات الرسول

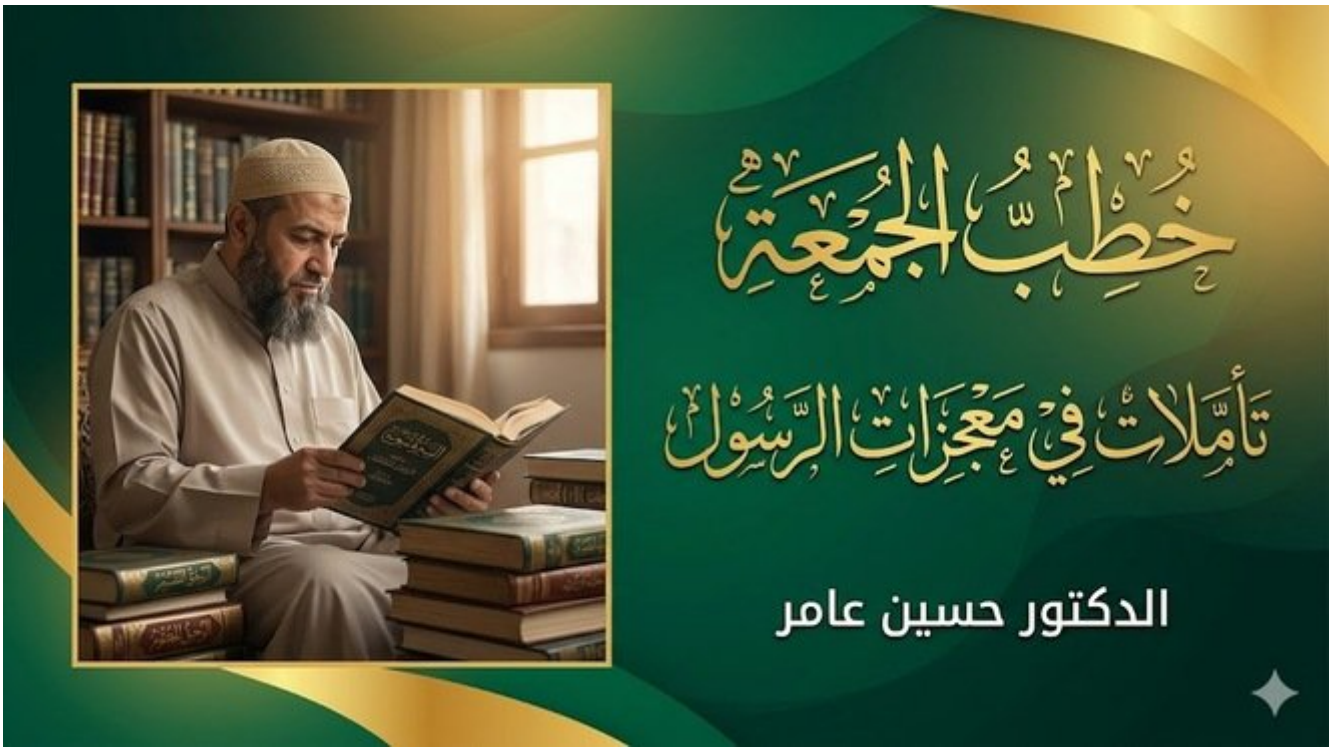

أرسل الله تعالى الرسل هداية للناس وأنزل الله تعالى عليهم المنهج ليكون دليلاً وليكون هداية لهم فأنزل الله تعالى كتبه وأوحى إلى رسله بما فيه هداية البشرية وسعادتها في الدنيا والآخرة وأجرى الله تعالى على يد أنبيائه المعجزات الباهرة والتي جعل الله تعالى فيها دلالة على صدق نبيه الذي أرسله؛ فحينما يخرج الأمر عن نطاق إدراك البشر وقدراتهم المعهودة فإن ذلك لا يعني إلا شيئاً واحداً أن هذا البشري الذي أمامكم الذي جاء يقول أنا رسول رب العالمين هو مؤيد من الله جل وعلا .

معنى المعجزة:

كلمة المعجزة معناها من عجز عن فعل الشيء يعني عدم القدرة على فعله، وأعجزه يعني جعله عاجزاً فهنا كأن الرسول جاء ليقول أنا رسول رب العالمين.

فيقولون له: ما دلالة صدقك؟

فيأتي بآيات يعجز البشر عن الإتيان بمثلها فهذه الآيات الباهرات هي تصديق من الله تعالى للرسل بما يجريه على أيديهم؛ فبهذه المعجزات والآيات تصديق من الله لهذا الرسول وأنه مرسل من عند الله.

معجزة انشقاق القمر والدلائل العلمية

رغم أن الآيات التي أجراها الله تعالى على نبينا صلى الله عليه وسلم رآها من كان في زمانه؛ إلا أن الله تعالى يقدر بقاء هذه المعجزات، أو بعضها أثراً باقياً دلالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومن معجزات الرسول: معجزة انشقاق القمر، وقول الله تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ} (سورة القمر: الآية 1).

قصة حدثت مع الدكتور زغلول النجار ـ رحمه الله ـ :

في مقابلة تلفزيونية مع عالم الجيولوجيا المسلم الأستاذ الدكتور زغلول النجار، سأله مقدم البرنامج عن هذه الآية: هل فيها إعجاز قرآني علمي؟ فأجاب الدكتور زغلول قائلا: هذه الآية لها معي قصة. فمنذ فترة كنت أحاضر في جامعة(كارديف) (Cardif) في غرب بريطانيا، وكان الحضور خليطا من

المسلمين وغير المسلمين، وكان هناك حوار حي للغاية عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي أثناء هذا الحوار، وقف شاب من المسلمين وقال: ياسيدي هل ترى في قول الحق تبارك وتعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) لمحة من لمحات الإعجاز العلمي في القران الكريم؟ فأجابه الدكتور زغلول قائلا: لا.. لأن الإعجاز العلمي يفسره العلم، أما المعجزات فلا يستطيع العلم أن يفسرها، فالمعجزة أمر خارق للعادة فلا تستطيع السنن أن تفسرها.. وانشقاق القمر معجزة حدثت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد له بالنبوة والرسالة والمعجزات الحسية شهادة صدق على من رآها، ولولا ورودها في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما كان علينا نحن مسلمي هذا العصر أن نؤمن بها ولكننا نؤمن بها لورودها في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولأن الله تعالى قادر على كل شيء.

ثم ساق الدكتور زغلول قصة انشقاق القمر كما وردت في كتب السنة فقال: قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بخمس سنوات جاءه نفر من قريش وقالوا له: يامحمد إن كنت حقا نبيا ورسولا فأتنا بمعجزة تشهد لك بالنبوة والرسالة، فسألهم: ماذا تريدون؟ قالوا: شق لنا القمر، على سبيل التعجيز والتحدي.. فوقف المصطفى صلى الله عليه وسلم يدعو ربه أن ينصره في هذا الموقف فألهمه ربه تبارك وتعالى أن يشير بإصبعه الشريف إلى القمر، فانشق القمر إلى فلقتين، تباعدتا عن بعضهما البعض لعدة ساعات متصلة، ثم التحمتا.. فقال الكفار: سحرنا محمد (صلى الله عليه

وسلم)، لكن بعض العقلاء قالوا إن السحر قد يؤثر على الذين حضروه، لكنه لا يستطيع أن يؤثر على كل الناس، فانتظروا الركبان القادمين من السفر، فسارع الكفار إلى مخارج مكة ينتظرون القادمين من السفر، فحين قدم أول ركب سألهم الكفار: هل رأيتم شيئا غريبا حدث لهذا القمر؟ قالوا: نعم، في الليلة الفلانية رأينا القمر قد انشق إلى فلقتين تباعدتا عن بعضهما البعض ثم التحمتا. فآمن منهم من آمن وكفر من كفر.. ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز: [اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر]... إلى آخر الآيات التي نزلت في ذلك .

أنا "داوود موسى بيتكوك" :

يقول الدكتور زغلول: وبعد أن أتممت حديثي وقف شاب مسلم بريطاني عرف بنفسه وقال: أنا "داوود موسى بيتكوك" رئيس الحزب الإسلامي البريطاني، ثم قال يا سيدي.. هل تسمح لي بإضافة؟ قلت له: تفضل قال: وأنا أبحث عن الأديان (قبل أن يسلم)، أهداني أحد الطلاب المسلمين ترجمة لمعاني القرآن الكريم، فشكرته عليها وأخذتها إلى البيت، وحين فتحت هذه الترجمة، كانت أول سورة أطلع عليها سورة القمر، وقرأت: اقتربت الساعة وانشق القمر، فقلت: هل يعقل هذا الكلام؟ هل يمكن للقمر أن ينشق ثم يلتحم، وأي قوة تستطيع عمل ذلك؟ يقول الرجل: فصدتني هذه الآية عن مواصلة القراءة، وانشغلت بأمور الحياة، لكن الله تعالى يعلم مدى إخلاصي في البحث عن

الحقيقة، فأجلسني ربي أمام التلفاز البريطاني وكان هناك حوار يدور بين معلق بريطاني وثلاثة من علماء الفضاء الأمريكيين، وكان هذا المذيع يعاتب هؤلاء العلماء على الإنفاق الشديد على رحلات الفضاء، في الوقت الذي تمتلئ فيه الأرض بمشكلات الجوع والفقر والمرض والتخلف، وكان يقول: لو أن هذا المال أنفق على عمران الأرض لكان أجدى وأنفع وجلس هؤلاء العلماء الثلاثة يدافعون عن وجهة نظرهم ويقولون: إن هذه التقنية تطبق في نواحي كثيرة في الحياة، حيث إنها تطبق في الطب والصناعة والزراعة، فهذا المال ليس مالا مهدرا لكنه أعاننا على تطوير تقنيات متقدمة للغاية.

وفي خلال هذا الحوار جاء ذكر رحلة إنزال رجل على سطح القمر باعتبار أنها اكثر رحلات الفضاء كلفة فقد تكلفت أكثر من مائة ألف مليون دولار، فصرخ فيهم المذيع البريطاني وقال: أي سفه هذا؟ مائة ألف مليون دولار لكي تضعوا العلم الأمريكي على سطح القمر؟

فقالوا: لا، لم يكن الهدف وضع العلم الأمريكي فوق سطح القمر كنا ندرس التركيب الداخلي للقمر، فوجدنا حقيقة لو أنفقنا أضعاف هذا المال لإقناع الناس بها ما صدقنا أحد. فقال لهم: ما هذه الحقيقة؟

قالوا : هذا القمر انشق في يوم من الأيام ثم التحم .

قال لهم: كيف عرفتم ذلك؟

قالوا: وجدنا حزاما من الصخور المتحولة يقطع القمر من سطحه إلى جوفه، فاستشرنا علماء الأرض وعلماء الجيولوجيا، فقالوا: لا يمكن أن يكون هذا قد

حدث إلا إذا كان هذا القمر قد انشق ثم التحم.

يقول الرجل المسلم رئيس الحزب الإسلامي البريطاني: فقفزت من الكرسي الذي كنت أجلس عليه وقلت: معجزة تحدث لمحمد (صلى الله عليه وسلم) قبل ألف وأربعمائة سنة، يسخر الله تعالى الأمريكان لإنفاق أكثر من مائة ألف مليون دولار لإثباتها للمسلمين؟!! لا بد أن يكون هذا الدين حقا. يقول: فعدت إلى المصحف، وتلوت سورة القمر، وكانت مدخلي لقبول الإسلام دينا.

الشاهد يا إخواني أن الله تعالى يظهر من آياته حيناً بعد حين ليبين للبشرية مدى صدق نبينا صلى الله عليه وسلم وأبقى الله تعالى دلائل صدقه على مدى الدهر يكتشفها الناس حيناً بعد حين مصداق ذلك قول الحق جل وعلا: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} (سورة فصلت: الآية 53).

معجزة الإسراء والمعراج

من هذا الباب معجزة الإسراء والمعراج معجزة الإسراء والمعراج هي آية عظيمة ومعجزة كبيرة من المعجزات التي أيد الله بها نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم المشركون حينما أنكروا على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له نحن نضرب أكباد الإبل شهراً ذهاباً وشهراً إياباً وأنت تزعم أنك ذهبتها في ليلة ورجعت في نفس الليلة وحينما عرضوا الأمر على أبي بكر الصديق قال كلمته التي نحفظها جميعاً "إن كان قال فقد صدق" وبين مقياس ذلك بناحية عقلية بسيطة قال إني أصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء أنتم

تكذبون النبي في مسافة 2000 كم المسافة من مكة إلى القدس وأنا أصدقه فيما هو أبعد من ذلك أنه يقول إن وحياً يأتيه من قبل الله رب العالمين ومن يومها لقب أبو بكر بالصديق رضي الله عنه.

ولكم أن تتخيلوا لماذا أنكروا على النبي صلى الله عليه وسلم هذا الإنكار الشديد؟ أنكروا عليه ذلك لأنهم لا يتصورون وسيلة مواصلات أسرع من الفرس؛ فكيف لهم يتصورون رجلاً يقطع مسافة شهر في يوم وتأملوا يا إخواني كيف أن التحدي وصل إلى مطالبة النبي صلى الله عليه وسلم بأن يسألوه عن بعض الأشياء في المسجد الأقصى والنبي يجيبهم عن ذلك.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ" (رواه البخاري).

فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول فجلى الله لي البيت فجعلت قريش تسأل وأنا أجيب هذا ما نراه الآن في وقتنا أنت الآن مثلاً تفتح قناة إخبارية تنقل لك حدثاً على بعد عشرة آلاف كيلومتر تراه وكأنك تعاين الحدث وكأنك جزء منه مباريات كرة القدم أحداث مؤتمرات سياسية الفاصل ما بين الحدث وما تراه على الشاشة ما بين ثانيتين إلى خمس ثوانٍ فقط فانا أقول إن ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم منذ 1400 سنة أن الله جلى لنبينا البيت فجعلت قريش تسأل والرسول يجيب نحن نتخيل صدقه ووقوعه الآن في متناول الجميع بل بعيداً عن

القنوات والقدرات الإعلامية الجبارة أنت من خلال هاتفك الذي تحمله بيدك تستطيع أن تتكلم مع أهلك على بعد 5000 كم صوتاً وصورة بمنتهى النقاء والوضوح وهذا كله من آيات الله عز وجل أن سخر لنا هذا الأمر.

إذاً فلما يروي لنا النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحدث وأن قريشاً جعلت تسأل وهو يجيب وهو يبصر أمامه المسجد الأقصى قطعة قطعة وجزءاً جزءاً فهذا كله بدلالة واقعنا الآن نقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسيلة الإسراء وسرعة البراق

أيضاً يا إخواني بالنسبة للرحلة الأرضية جعل الله تعالى فيها الأسباب الأرضية لكن بطريقة عجيبة وهي وسيلة البراق؛ البراق اسم على مسمى؛ سمي بذلك لسرعته لأنه كان سريعاً جداً كسرعة البرق ترى البرق يظهر في السماء ويختفي فهو براق من البرق قالوا لبياض لونه وقالوا لسرعته.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ" (رواه مسلم).

حافره يعني قدمه سرعة البراق تكون عند منتهى بصره يعني أنا منتهى بصري لو نظرت الآن أمامي حوالي 500 متر فالبراق كانت الخطوة الواحدة هي سرعة الأفق احسب كم يكون مقدار سرعة البراق وكم يقطع المسافة من مكة إلى

المدينة بهذه السرعة العالية.

لم يذكر القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وسلم لنا كيفية العروج إلى السماء وهذا يرجع إلى أمر هام، وهو أن العروج إلى السماء لم يكن بوسيلة أبداً ؛الإسراء كان بوسيلة البراق من مكة إلى القدس، أما المعراج فليس فيه البراق، وإنما كان المعراج بقوة الله عز وجل مجردة عن أي وسائل أو أسباب بشرية ظاهرة.

قدرة الله المطلقة وتلاشي الزمن

حينما نتكلم عن الأمر الإلهي الشيخ الشعراوي رحمه الله عليه قال حينما نقول إن طفلاً رضيعاً صعد جبل إيفرست هذا كلام غير مصدق لكن إذا قلنا إن أباه حمله وصعد به نصدق هذا فالنبي لم يقل أنا الذي عرج بي إلى السماء إنما قال الله: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ} (سورة الإسراء: الآية 1).

فالله تعالى هو الذي أسرى بعبده وهو الذي عرج به إلى السماوات فلما نقيس الأمر بقدرة فاعله كلما زادت القوة قل الزمن فكلما زادت قوة الفاعل كلما قل الزمن فلما تنسب الأمر إلى الله عز وجل كم يأخذ الأمر لتحققه من الله سبحانه وتعالى؟ الله جل وعلا يقول: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} (سورة النحل: الآية 40).

وقال: {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} (سورة القمر: الآية 50). لمح البصر قالوا إن طرفة العين هي عبارة عن مئة جزء من ثانية فأمر الله تعالى لا يأخذ

شيئاً من الزمن لأن الله تعالى لا يحتاج في قوته لزمن لتحقق الأمر.

ولذلك لما جاء أبي بن خلف للنبي صلى الله عليه وسلم يحمل عظماً رميما يعني مفتت قال أتزعم أن ربك سيبعث هذه ويعيدها مرة أخرى؟ قال نعم يبعثك ويدخلك النار وبين الله عز وجل كيف أنه خلق الإنسان من لا شيء قال: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} (سورة يس: الآيات 78–79). وبين الله عز وجل قدرته على الإعادة فقال: {قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ} (سورة ق: الآية 4). الرصد الإلهي يصل إلى مرحلة من الإدراك والعلم بما لا يلحقه جهل.

فالله تعالى يعلم هذه الجزيئات الصغيرة التي تتحلل منا وتندمج مع الأرض كلها، وفي سورة القيامة في رده على منكري البعث قال: {بَلَىٰ قادرين عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ} (سورة القيامة: الآية 4).

البنان التي هي الأصابع والإشارة هنا بالبنان لأن ليس هناك إنسان يتشابه في بصمة أصابعه مع إنسان آخر؛ الله تعالى لا يقول لك إنه سيعيد الموتى مرة أخرى فقط بل إنه سيسوي الإنسان تسوية تامة كاملة لدرجة أن بصمات الأصابع ستعود مرة أخرى.

إذا أمر الله تعالى واحدة كلمح بالبصر فلما ينسب الفعل إلى الله وإلى طلاقة قدرته نقول إنه لا زمن ولذلك تقرأ في سورة النحل: {أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}

(سورة النحل: الآية 1). تتساءل أتى فعل ماضي فلا تستعجلوه يفيد الاستقبال كيف يجتمع الماضي مع المستقبل بهذا الشكل؟

نقول لك إن الله تعالى يستوي عنده الماضي والحاضر والمستقبل الثلاثة عند الله شيء واحد لأن الله تعالى لا يجري عليه زمان ولذلك تجد أخبار القرآن عما سيحدث يوم القيامة دائماً بصيغة الماضي إشارة إلى دلالة تحقق الوقوع قال الله عز وجل: {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ} و {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} وغيرها من الآيات التي تبين أن هذا الأمر بالنسبة لله كائن بالفعل.

قصة عرش بلقيس وقدرة العلم

أعطيكم فائدة أخرى قصة بلقيس مع نبي الله سليمان حينما أراد سليمان أن يريها شيئاً مما أعطاه الله تعالى قال: {أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ} المسافة من اليمن إلى فلسطين 2300 كم ويحتاج إلى ذهاب وإياب يعني 4600 كم يحمل معها عرش بلقيس ويضعه في فلسطين قال أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك قالوا مجلسه كان حوالي سبع ساعات مثلاً هذه قدرة عفريت من الجن قال الذي عنده علم من الكتاب: {أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} (سورة النمل: الآيات 38-40). يعني مجرد ما تطرف بعينك تجده أمامك لا شك أن هذا الرجل الذي يقول هذا الكلام ليست قدرات بشر بل هي كرامة أحدثها الله تعالى على يد هذا العبد الصالح.

عظمة الكون وسعة ملك الله

ولا نستغرب حدث الإسراء والمعراج إذا علمنا أن هذه الكرة الأرضية التي نبصرها هي كدبوس في هذا الفضاء الكبير أو كما وصفها النبي لا تساوي عند الله جناح بعوضة وتتأمل العظمة الإلهية كيف أن هذه الأرض هي واحد من تسعة كواكب تدور حول الشمس وهذه الشمس جزء من المجرة التي نتبعها اسمها مجرة "درب اللبانة" هذه المجرة تحمل من 200 إلى 400 بليون نجم هذا ما اكتشفه الفلكيون حالياً ثم تامل معي أن العلماء اكتشفوا إلى الآن 200 بليون مجرة إلى وقتنا هذا وهذا كله يدلنا دائماً على قدرة الله عز وجل وعلى سعة ملكه كما قال جل وعلا: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (سورة البقرة: الآية 255).

الخاتمة:

الخلاصة أننا كمؤمنين نؤمن والحمد لله بهذه المعجزات لأن المعجزات الطريق إلى تصديقها يكون بالقلوب وليس بالعقول لكن ما المانع أن نبحث في مثل هذه الأمور لندل من حولنا من غير المسلمين أن هذه دلائل صدق نبينا من أين لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدرك أن الكعبة هي أوسط نقطة في الكرة الأرضية كلها؟ من أين له صلى الله عليه وسلم أن يحدث آية انشقاق القمر وهي آية تفوق أي قدرات بشرية؟ أنى له أن ينتقل هذا الانتقال في جزء من الليل ثم إلى السماوات العلى ويعود ليدرك في الصباح أهل مكة؟

كل هذا إخواني إشارات يعطيها لنا الله عز وجل ليثبت الله بها قلوب المؤمنين ويقيم بها الحجة على الجميع لعلهم يعرفون ويوقنون أن الله هو الحق وأن نبيه حق نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه.